المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية
Global Center for Sufism and Spiritual Studies

دورات

دورة السلطان

لإعداد مرشدي الكسنزان

مُفرداتُ الكسنزانِ - مفردةُ حَبلِ الله

(1)

المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية
Global Center for Sufism and Spiritual Studies
www.gcsss.org - info@gcsss.org

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا-- ﴾ [آل عمران: 103]

المفردةُ: ما تفردَ به حضرة السلطان وشيخ الزمان (قُدست أسرارهما).

بيَّنَ حضرة السلطان محمد المحمد الكسنزان (قدست أسراره المباركة) المقصودَ بحبلِ الله تعالى في الآية الكريمة، فذكرَ أن الحبلَ العادي مكون من مجموعةِ خيوطٍ، وعلى شاكلته فإن حبل الله تعالى يتكون من خيوطٍ: فالسبحةُ والذكرُ الكثيرُ بمثابةِ خيطٍ، والعملُ الصالحُ خيطٌ، والمحبةُ خيطٌ، والأخلاقُ خيطٌ، وطلبُ العلمِ خيطٌ، والأدبُ خيطٌ، والرحمةُ خيطٌ، والصلاة خيط، والصيام خيط، والتعاونُ خيطٌ... وهكذا، فكل أمر أمرنا به تعالى من عدلٍ واحسانٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى--﴾ [النحل: 90] فهي خيوطٌ، وإذا ما أخذَ بها المريدُ في أقواله وأفعاله وأحواله، فإنها تكون له مجتمعةً (حبلُ الله)، وهذا الحبلُ يَعصِمهُ أو يقيه من الزللِ، ومن الوقوع فيما يبعده عن الله تعالى وحبيبه ﷺ ومشايخ الطريقة (قدست أسرارهم جميعاً)، فالحبلُ مددُ التقوى.

إن قوة حبل كل مريدٍ (أي تقواه) بقدر الخيوط التي يأخذها، ويتمسك بالعمل بها، فقد يَضْعُفُ هذا الحبلُ حتى يكون كخيطٍ رفيعٍ، بالكادِ يُرى، وقد يكونُ عظيماً قوياً صلباً بكثرة خيوطه والإخلاص في أدائها.

فإن سألَ سائلٌ: ما الطريقةُ؟ فقل: الطريقةُ حبلُ الله تعالى المتين، الطريقةُ طريقةُ شيخي في الاعتصامِ بحبلِ الله.

حضرةُ شيخِ الزمانِ:

حضرة السلطان أمر بالاعتصام بحبل الله كاشفاً عن تفاصيل أو حقيقة هذا الحبل.

جاء أستاذنا الحاضرُ فبيَّنَ الآلية أو الكيفية التي تتم بها عمليةُ الاعتصامِ أو التمسكِ تلك. نوجزها في نقاط:

- علَّمنا أن الحبل يتكونُ من خيوطٍ: ذكرٌ، وصلاةٌ، وصيامٌ، وأخلاقٌ، وعملٌ صالحٌ، ومحبةٌ... الخ.
- مجموعُ هذه الخيوطِ التي تسمى الحبل، يُطلقُ عليها الأستاذ الحاضر صفة (أخلاقُ شيخكم). فالاخلاقُ هنا ليست مُجرد دائرة تعاملات حَسنة مع الناس، بل هي دوائرٌ ثلاثُ متداخلةٌ متكاملةٌ، إذ تشمل العلاقات البشرية الثلاث: العلاقة مع النّفس، العلاقة مع النّاس، العلاقة مع الله تعالى.
- " التمسك بأخلاق شيخكم [حبل الله]، هو التمسك بأخلاق الحبل الممدود [سلسلة الطريقة] إلى رسول الله ﷺ [وإنك لعلى خلق عظيم]، إلى الله سبحانه وتعالى".
- "وهذا [التمسك بأخلاق الشيخِ والسلسلة] لا يكون إلا برابطةِ البيعةِ، هذا هو سِرُ البيعة إن شاء الله تعالى".

- المقصودُ بقوله (قدس سره): "وهذا هو سر البيعة" هو الإجابة عن سؤالين:

- الأول: لماذا تُعطي المشايخ البيعة؟

ج: المشايخ تعطي البيعةَ لتربطَ الناس بالاخلاق المحمدية المتصلة بالسماء (النور المحمدي).

- والثاني: لماذا على النّاس أن تأخذ البيعة؟

ج: لأن الناس إن لم تأخذ البيعة، بقيت أخلاقها إنسانيةً (وليست محمديةً)، أي منقطعةٌ هابطةٌ في الأرض، لحَسنها حسنات، ولسيئها سيئات، ولكنها جميعاً فانياتٌ لا باقياتٌ مثل الصالحاتِ. ولذلك يذكر أحيانا شيخنا الحاضر مقولته: "البيعةُ فرضُ عينٍ".

اذاً، عندما يعطي المرشِد البيعة، فالمفترض أن يكون مستوعباً لما يفعل، هو يسعى لربط المُرشَد بالاخلاق المحمدية العظيمة عن طريق سلسلة مشايخ الطريقة.

الحصيلة:

الأخلاق متصلة بالله، وهي خيوط، مجموعها يشكلُ الحبلَ، والحبلُ ممدودٌ من السماء إلى الأرض أو من الغيب إلى الشهادة بالسلسلة، وطرفُ الحبلِ يتمثلُ بالشيخ الحاضرِ، وإلإمساكُ بهذا الطريف يكون عن طريق "اللمسة الروحية" أو المشابكة أو مصافحةِ المبايعة، وهنا يأتي دور المرشد الكسنزاني المجاز بتفعيل هذا الربط بين الخلق وسلسلة مشايخ الأخلاق.

لذا، على المرشد أن يوسع دائرة فهمه للمقصودِ بالطريقة والبيعة، ضمن سياق هذه "المفردة" الكسنزانية، وأن يستخدم هذا المدخل في الإرشاد، إذا شعرَ بأنه سيكونُ مؤثراً في المُرشَدِ.

نعم، ستظهرُ تساؤلاتٌ من قبيل:

لدينا الكتابُ والسنةُ، أو المروياتُ وفيها الأخلاقُ التي نحتاجها، لماذا تشترطون البيعة؟

نقول: ما دام المستمعُ قد ركنَ إلى النصوصِ النقلية، فالإجابةُ تكون من جنسِ ما ركنَ إليه، وقد أجملها شيخنا الحاضر وحضرة السلطان من قبل، وهي: " الذي تركه بيننا رسول الله ﷺ (كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا)". فالتمسكُ لابد أن يكون بهما معاً.

السؤالُ المباشرُ المتوقعُ لذلك هو: ما الدليلُ على ان شيخكم هو واحد الزمان؟

هنا ترجعونَ إلى ما سبقَ أن بيناهُ بالتفصيلِ في جوابنا حولَ السؤالِ (41 - الدرس الثاني) الخاص بالمنهجين: العقليُ المنطقيُ، والصوفيُ التجريبي.

فإن بيَّن المرشد الكسنزاني ما تقدم، يكونُ قد أدى مهمتهُ على أكمل وجه، وله الأجر المُستحقُ كاملاً، اقتنع المُرشَد أم لم يقتنع، وذلك أن الأصلَ القرآني في الإرشاد هو التذكرة، والتذكر ة غير مشروطةٍ بالاقتناع: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى . سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾.

بعضُ المرشدينَ يتأذون ويتحسرون حين لا يقتنعُ المستمعُ لهم، وهذا حالٌ اعتياديٌ يصيبُ أي مُرشدٍ، وقد طَيبَ القرآنُ الكريمُ خاطرَ المصابِ به فقال لحضرة الرسول الأعظم ﷺ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ

نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8].

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6]، البخعُ لغة: «أصلٌ واحد، وهو القتلُ وما داناه من إذلالٍ وقهر»[1]، والمقصودُ أن حضرته ﷺ كان يتحسر كثيراً عندما يرشدهم إلى المبايعة ليرتبطوا بالله تعالى، فيسمعونَ ولا يستمعون، ويعرضون مدبرين.

وكما قيل: الكلمة سهم إن لم يصب هدفه أصابك.

في الحقيقة: الإرشاد مثل ساحة القتل، فإما فرح واما قرح.

لهذا على المرشد أن يكون محصناً بالتقوى، بالدروع التي تَصدُ عنه أو تخفف من جراحاتِ المعاركِ في سبيل الله، لهذا فإن القتال مكروه، ولكنه مكتوب علينا مثل الصيام ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216].

إن هذا نوعٌ خاصٌ من القتال، نستهدفُ به الهدى بدل القتل، لكنه لا يخلو من أذى، فمن جندَ نفسه لهذا النوع من قتالِ الإرشاد بما يتسم به من عقلانية، ورحانية، فقد كان فارساً في ميدان الرحمة والهدى، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ والقرحُ: ألمُ الجراح.

نقول: القرآنُ الكريمُ، يُطيب خاطرَ وقلوبَ المرشدينَ إذا أصابتهم مثلُ هذه المصائبِ ويعدهم بالتعويض الابدي النادر، بالتالي، لذا فإن الأمر يستحق العناء.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمدٍ الوصفِ والوحي والرسالةِ والحكمةِ
وعلى آله وصحبهِ وسلم تسليما

1 - **ابن فارس، معجم مقاييس اللغة**، ج1ص206. والبخع، وتعني: أن تبلغ بالذّبح البخاع، وهو وريد دم قريب من صُلب عظام الرّقبة، وهو أقصى حد يصل إليه الذّبح.